

فتح القدير

39 - { يمحوا } ما يشاء ويثبت { أي يمحو من ذلك الكتاب ويثبت ما يشاء منه يقال محوت الكتاب محوا إذا أذهبت أثره قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم { ويثبت } بالتخفيف وقرأ الباكون بالتشديد واختار هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد وظاهر النظم القرآني العموم في كل شيء مما في الكتاب فيمحوا ما يشاء محوه من شقاوة أو سعادة أو رزق أو عمر أو خير أو شر ويبدل هذا بهذا ويجعل هذا مكان هذا { لا يسأل عما يفعل وهم يسألون } وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبو وائل وقتادة والضحاك وابن جريج وغيرهم وقيل الآية خاصة بالسعادة والشقاوة وقيل يمحوا ما يشاء من ديوان الحفظة وهو ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت ما فيه الثواب والعقاب وقيل يمحوا ما يشاء من الرزق وقيل يمحوا من أجل وقيل يمحوا ما يشاء من الشرائع فينسخه ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وقيل يمحوا ما يشاء من ذنوب عباده ويترك ما يشاء وقيل يمحوا ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويترك ما يشاء منها مع عدم التوبة وقيل يمحوا الآباء وثبت الأبناء وقيل يمحوا القمر ويثبت الشمس كقوله : { فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة } وقيل يمحوا ما يشاء من الأرواح التي يقبضها حال النوم .

فيميت صاحبه ويثبت ما يشاء فيرده إلى صاحبه وقيل يمحوا ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها وقيل يمحوا الدنيا ويثبت الآخرة وقيل غير ذلك مما لا حاجة إلى ذكره والأول أولى كما تفيدته ما في قوله : ما يشاء من العموم مع تقدم ذكر الكتاب في قوله { لكل أجل كتاب } ومع قوله { وعنده أم الكتاب } أي أصله وهو اللوح المحفوظ فالمراد من الآية أنه يمحوا ما يشاء مما في اللوح المحفوظ فيكون كالعدم ويثبت ما يشاء مما فيه فيجري فيه قضاؤه وقدره على حسب ما تقتضيه مشيئته وهذا لا ينافي ما ثبت عنه A من قوله : [جف القلم] وذلك لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله سبحانه وقيل إن أم الكتاب هو علم الله تعالى بما خلق وما هو خالق .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله : { يفرحون بما أنزل إليك } قال : أولئك أصحاب محمد A فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدقوا به { ومن الأحزاب من ينكر بعضه } يعني اليهود والنصارى والمجوس وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن ابن زيد في الآية : قال هؤلاء من آمن برسول الله A من أهل الكتاب يفرحون بذلك ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به { ومن الأحزاب من ينكر بعضه } قال : الأحزاب الأمم اليهود والنصارى والمجوس وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن

قتادة في قوله : { وإليه مآب } قال : إليه مصير كل عبد وأخرج ابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه من طريق قتادة عن الحسن عن سمرة قال : نهى رسول الله ﷺ عن التبتل وقرأ قتادة { ولقد أرسلنا رسلا من قبلك } الآية وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن هشام قال : دخلت على عائشة فقلت : إني أريد أن أتبتل ؟ قالت لا تفعل أما سمعت الله يقول { ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية } وقد ورد في النهي عن التبتل والترغيب في النكاح ما هو معروف وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : قالت قريش حين أنزل { ما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله } ما نراك يا محمد تملك من شيء ولقد فرغ من الأمر فأنزلت هذه الآية تخويفا لهم ووعيدا لهم { يمحوا } ما يشاء ويثبت { إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا شيئا ويحدث الله في كل رمضان فيمحوا ما يشاء ويثبت من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم وأخرج عبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس في قوله { يمحوا } ما يشاء ويثبت { قال : ينزل الله في كل شهر رمضان إلى سماء الدنيا فيدبر أمر السنة إلى السنة فيمحوا ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عنه في الآية قال : هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو الذي يمحوا والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد سبق له خير حتى يموت على طاعة الله وأخرج ابن جرير ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عنه أيضا في الآية قال : هما كتابان يمحوا ما يشاء من أحدهما ويثبت وعنده أم الكتاب : أي جملة الكتاب وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال [إن الله لو حاكم محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوت والدفتان لوحان : كل يوم ثلاث وستون لحظة يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب] وإسناده عند ابن جرير : هكذا حدثنا محمد بن شهر بن عسكر حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : [إن الله ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل فيفتح الذكر في الساعة الأولى منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحوا الله ما يشاء ويثبت] الحديث وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بإسناد قال السيوطي : ضعيف عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : [يمحوا الله ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة والسعادة والحياة والممات] وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا بنحوه وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال [لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحوا بالدعاء ما يشاء من القدر] وأخرج ابن جرير عن قيس بن عباد قال العاشر من رجب وهو يوم يمحوا الله فيه ما يشاء وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عنه نحوه بأطول منه وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر

عن عمر بن الخطاب أنه قال وهو يطوف بالبیت اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فامحه
فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب فاجعله سعادة ومغفرة وأخرج ابن أبي شيبة وابن
جرير وابن المنذر والطبراني عن ابن مسعود نحوه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي
حاتم والبيهقي في المدخل عن ابن عباس في قوله : { يمحوا } ما يشاء ويثبت { قال : يبدل
ا } ما يشاء من القرآن فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدله { وعنده أم الكتاب } يقول : وجمله
ذلك عنده في أم الكتاب : الناسخ والمنسوخ ما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب وأخرج ابن
جرير عن ابن عباس { وعنده أم الكتاب } قال : الذكر وأخرج ابن المنذر عن مجاهد مثله
وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن يسار عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن أم الكتاب ؟ فقال :
علم ا } ما هو خالق وما خلقه عالمون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا